هذه صورة المسجد الاقصى الذي اجتمع فيه المؤتمر الاسلامي العام وقد تبلغنا من المكتب الدائمي للمؤتمر الاسلامي عدة مقررات وبيانات ومنشورات من اراد مطالعتها فله ذلك بادارة المجلة

ابحث عن شاعر ...

قدماً كان الفيلسوف اليوناني ديوجنيس يحمل مصباحه في النهار المحصحص وعلى ذبالة المشكاة يمعن تحديقاً في تكنات اتينا وتطوافاً على رحابها جيئة وذهاباً يبحث عن رجل...

الا ان ديوجنيس كان حكيما ولست بحكيم وكانت الضالة التي ينشدها قد تكون في الامكان من بين اهل زمانه، وان عالج من دهره شططاً وتطلب من الانسانية عزيزاً، وهي لامثالي من الناس من قبيل المحال اذ اتخيل الرجولية عملا وأين العمل؛ واراها في التضحية وأين التضحية؛ وأحسبها يقظة في الاخلاق وصدقاً في العواطف وهيهات لاخلاقنا وعواطفنا ان تعطينا جزءاً يسيراً من رجولية ناقصة!

اذن اختار لنفسي عملا أهون وأمراً على كاهلي أخف وبين ظهرانينا ايسر فان أعوزتنا الرجولية فلا أقل

من ان لايعوزنا القول وان شقي بنا الحال فلا أصغر من أن يسعد عندنا النطق، وعليه فها أنا ابحث عن قائل مجيد ابحث عن شاعر راجياً لا آيساً يأس القائل المتضجر :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة
باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى
منه النوال ولا مليح يعشق

خصوصاً وان هذا البلد السعيد له من دواعي النشيد تاريخ مجيد ومناظر طبيعية باذخه وفي نسائه رقة وفي رجاله شهامة وله من حلية الحياة شباب يحاول ان يكون وشيوخ تزينهم العبادة ويكسوهم الوقار.

ولقد استعين في بحثي برجل يجمع بين الشباب والشيب ويضم في يده السبحة الى القلم، يعبد الله ويستمع الى حسيس الجن مساعدي عبد الاحد الكتاني لان عبد الاحد الكتاني من طائفة الشعراء المشهورين وليس لي في هذا الفن من دليل الى المعرفة به سواه وياله من دليل!

عرض علي يوماً عبد الاحد كتاباً يشتمل على جزئين فيهما صور كثيرة واشعار طويلة وقال : « هذا كتاب في شعراء المغرب الاقصى » والكتب من امثاله كثيرة في بلاد الاسلام منذ النهضة اي منذ سنوات قلائل نرى خلالها للقطر الواحد من الشعراء اكثر مما نراه للاقطار المتمدنة المفعمة رجالا واعمالا مثل فرنسا وانجلترا وغيرهما لانا اناس يقيمنا الجهل بالحقيقة ويقعدنا القيام بالواجب وجماعة يغمرنا دجى الغرور باللمعه وينقصنا نور التنبه لما فينا من قصور وتقصير يبرق فينا من وميض المعرفة شعاع ضئيل بئيل فنحسب القمر قد نزل من سمائه وهبط عن عليائه ونظن السراب ماء والجهود جهوداً والحركة الطفيفة ضجة عنيفة.

وقد ادركت دخيلة صاحبي وسرعنوه بهذا السفر العامر الي لاني بمجرد ما فتحته شاهدت في احدى صفحاته صورته من بين الشعراء بحلية حسنة وتحتها ابيات كثيرة تظاهرت بقراءتها ولم اقرأها كما اني لم أقرأ له من النظم الا رثاء شوقي وقد قال الذين سمعوه في حفلة تأبين هذا الفقيد العظيم انه شعر... عرف قدره وشهد له باتمه افراد لم يبلغوا التمام مثل عمر بن عبد الجليل المهندس الفلاحي بدون أرض ومحمد علال الفاسي المدرس بلا اجازة وعبد الحق بن وطاف السياسي من غير سياسية ومحمد اليعقوبي التاجر بلا دكان ومحمد القري الاختصاصي في فن اختراع الالقاب والحلى والمتبرع في جريدة ابي اليقظان على كل واحد من اعضاء لجنة التأبين بلقب (العلامة) من غير ما مكافأة ولا جزاء وغير هؤلاء من اهل الشهادات المردودة والاقوال المرفوضة ولا كصاحب الكتاب المذكور الذي ادعى جمع اقطاب شعراء المغرب في ديوانه ونسي مثل محمد بن ابراهيم شاعر الحاج التهامي المزواري ويوسف بن تاشفين ومجلة المغرب ومثل عبد الله القباج شاعر السعادة واصحاب السعادة والمجادة ومحمد معمري ولاذنب له في نظر المؤلف الا انه ابن شقيق الاقصى وهو المغربي الدار والعمل والمغربي الحياة والشعار وهو شاعر الغرش بل نسي حتى كاتب هذه السطور ولا ذنب له الا انه لم ينظم في عمره الا قصيدة واحدة يعتبر هذا العدد من النشرية البيت السادس فيها.

فعبد الاحد اذن لم تقم عندي الحجة على شاعريته ومع ذلك فاني اريد ان لايفارقني في هذا البحث وعساي بعد ان استعين به في تتبع الشعراء ارجع عليه بالكرة واسمعه مقالة الحق في شعره او فيما بهذا الاسم يسميه حيث تدور به الدائرة ويتطلب الخلاص ولات الحين حين مناص.

نعم نعم. البحث كؤود والمسلك وعر ودون الغاية خرط القتاد وقطع نياط الفؤاد. فلقد اصبح الناس اليوم وليسوا بابناء الطبيعة بل ابناء العادة ولامر ما حسبوها الطبيعة الخامسة في الانسان وبكل اسف نراها قد استغلت مالها من فضل التحكم فينا اكثر مما يجب فجرت على الناس بما يأباه الواقع ويمجه الصدق وتلمظه الفكرة وسيمحصه النقد ان شاء الله من اطلاق العناوين الضخمة على غير معانيها الضخمة فيسمون شاعراً كل من نظم بيتاً وخطيباً كل من لفق خطبة وكاتباً كل من تشدق بثرثرة وعالماً كل من نقل من هنا الى هنا وقال هذا كتابنا. ولاريب في ان تقبل الوسط الذي نجد انفسنا فيه زيوف هذا الاطراء بكامل الفرح والابتهاج مما يجعل رفع اللثام عن الحقيقة محاولة مجهودة وسعياً عسيرا.

والى ذلك يزاد من قبيل ما يثقل خطاي في هذا السبيل ما أبصره من تقلص ظل الشعر على علته في المغرب لهذا الحين اذ اين الشعر واين هذا الذي انتقده من الشعراء؟ وان قوافي الجل منهم باقوال الحياة المادية اشد ارتباطاً منها بالحياة الادبية، وما هي الرسالة التي اداها الينا شعراءنا عن التاريخ وعن الطبيعة وعن الاخلاق او من الوجود الى الخلود وفي سبيل السعادة والتقدم؟ ولا زال غالبهم يتحرى القول في مناسبات الشؤن الطارقة العادية كالتعييد والاعذار والعرس والتوسيم ونحوه مما يشترك في العاطفة به غير النظامين اكثر وأصدق من النظامين.

بلى لو اني توخيت ما علمت من رفيقي، وقد علمت منه خلاف ما كنت احسب من اللين والرحمة، لقلت ليس هناك شعر سوى حديث اللهاة وطازج الموائد وهندمة اطباق الحلويات ولظللت في سبيل بحثي عن الشاعر اتصفح وجوه الداخلين والخارجين من دور الولائم ومنازل الحفلات عني اذا لم اعثر عليه في المكتب او المعهد ولا في الخلوة ولا عند الروض او على الشاطيء اعثر عليه في تلك الدور ولو اتبعت ما يوحى به الي عبد الاحد لتمثلت الشعر في هذا الشاعر الذي انصوره في هذه الآونة طويل القامة مبعثر العمامة لايخطيء وليمة ولا يفوته خوان فاذا ما اصطفت الموائد امام الاعين وترتبت الكؤس وتصاعد اوام البخور اقبلت اليه الشاعرية وانبعث الخيال ورفع صاحبنا عقيرته بهذه الابيات:

ومأدبة ما كان احلى مذاقها
تحدث عنها الرائحون الى الغادي
توارد اقوام عليها وكلهم
خفاف الى الحلوى ثقال عن الشادي
فما صدروا الا وكل بفضلها
كما شبع الغرثان قد روي الصادي
فلوان (شوقي) ذاق منها و(حافظا)
لما خلفا فينا دجاج (ابي شادي)
على حاضر منا وباد تدفقت
موائدها الشتى كما يدفق الوادي
هنيئاً لي الشاي المعنبر سائغاً
زردت به ما في الصحون من الزاد
وياحاتماً ما كان يطبع خاتماً
ليمنع تطفيلي على كسكس النادي
اليك وصاة قط ما ظفرت بها
صحائف قوم من ثمود ولا عاد

ولا افترعت بكر الوجى من ثريدها
عشيرة حصار ولا ءال عواد
نصحتك بالحلواء لا تبغ دونها
بديلا ولو قد حاربوك باجناد
وان مدت الايدى اليها فلا تكن
بآخرهم فالفضل للآكل البادي
ودونك نصحا ما استهين بمثله
ولاسيما من شاعرين لاجواد
وابقاك رب الناس رب طواجن
نعد بها الاعوام ايام اعياد

هذا انموذج من الرائج عندنا من قريض بعض الشعراء الذين نفتخر بهم وقد طالعت منه الشيء الكثير البثير في هذا الباب الا ان الشاعر الذي رمزت اليه شاعر قد مات وناظم قد سكن اللحد ولم يبق له بين ظهرانينا من شبيه اليه يشار او اليه يساق الحديث وانما اردت من صاحبي ان يتعرف الي ببعض زملائه وطلبت الحقيقة فاعرض عن الاحياء وقصد الاموات وتلبب الي قائلا على النمط القديم والطرز العتيق :

تسألني أم الخيار جملا
يمشي رويداً ويكون اولا

انه لمحال وان الصبي لاعلم بمضغ فيه ، واراك يااستاذي الناقد تشتهي ثم تشتكي ، تريد في نقدك الاحياء وتركك الاموات ان تحيي البيض وتقتل الفراخ . عجيب في حقك هذا وبعيد ان ادلك على حي، فانه لو بعثك جاري لبعتك داري والشاعر مثلي يقظان وما ايقظه واصدقه قائلا :

من حلقت لجاره لحية
فليسكب الماء على لحيته

فياموالاي ومولى المشرحة اي الاحياء تريد ان تلفحه وياحامل المشرط الى اين ، وويح من تختار ان تصب عليه الحين ، وهيهات ان تصل الى العين من غير طريق الاثر او ادلك على زملائي وانما :

اولائك اخواني الذين احبهم
وما الكف الا اصبع ثم اصبع

هكذا يقول صاحبي في ازدهاءي عن الاحياء الى الاموات وهكذا يريد ان يوجه ناقود قلمي في شعراء المغرب الى غير صراطه المستقيم ولاكن :

مهلا على رسلك ياعبد الاحد
الذيب في الغابة وحده اسد

قد تكون مصيبا في مداراتك عن نفسك ومن لم يدار المشط ينتف لحيته ولاكنها منك جديدة في لعيبه والأعلم بها من غص بها ونحن في حاجة الى النقد وصاحب الحاجة اعمى والنقد نقد سواء في حلوه وفي مره ، وهو في الاخير اصدق وعلى الاموات والاحياء وهو بهؤلاء احق وعلى الرقاب واقع لامحالة ان استوى فسكين وان التوى فمنجل وكلاهما قاطع . فمد مع الاعناق عنقك وحدثني عن الاحياء ...

فان النقد من اول ضروريات الحياة الادبية للشعب الحي وهو الابره التي تخز الفكر العام في أم دماغه لايقاظه من سبات الجهل والغفلة وانجع دواء لداء كبريائه واغتراره بنفسه وقد ءان الاوان ـ والمغرب كله والحمد لله بشائر نهضة وطلائع عمل ـ ان اطرق هذا الموضوع وليس لي

من بغية غير التهذيب والتثقيف وليس لي من مقصد غير ترويج الادب وتمتيع القراء والادباء بما ربما لم يعرفوه في انفسهم من قبل ليقفوا على محاسنهم فيزكوها وعلى عيوبهم فيجتنبوها، على ان الكاتب اذا كانت الصعوبة التي تعترضه لا في ان يكتب في اي موضوع شاء بل في ان يقول بالضبط مايعنيه في ذلك الموضوع فاني ساحاول ان شاء الله - رغما عن خداع صاحبي النبيه - ان اعمل على ان لا اقول الا ما اعني عساي ان اكون في هاته الكتابة المتزنة موفقا ولا كالشاعر العربي الذي يقول:

وفضلي في الشعر والقول انني
اقول على علم واعلم ما اعني

وعلى اعترافي بان ضبط الفكرة التي ازور ان تاتي واحدة في هذه المقالات المتسلسلة صعب المراس جدا على المحاولين فاني لااحجم عن محاولتي جهد المستطاع ان اضبط على القلم عاطفته واقرأ للفكرة حسابها الذي يوشك ان يسخط علي جمهور حملة الاقلام ولاكن لايهمني لو اسخطتهم اذا ارضيت الحقيقة عني

فهي الحقيقة ابغيها وان سخطوا
واقتفيها وان ماجوا وان لغطوا

على انهم قد رأوا امني هذا الا تجاه الصريح والظاهرة الاصلاحية الخالصة في غير ما موضع من ميدان العمل وما دمت مجردا عن رعاية المنفعة الخاصة ودام رائدي الاول في مشروع المجلة هو رفع غشاوة الغلط عن لحاظ الفكر العام المغربي ونفض غبار القديم عن اكتاف الشباب الجديد فاني لامحالة قائل ولو اودى قولي بحياة المجلة.

م.

جزيرة العرب

ظلت جزيرة العرب طيلة قرون شاسعة ميدانا فسيحاً للخلافات الداخلية بين أصحاب الامارات وزعماء العشائر وغواة الطمع من الذين لعبوا فيها للناس ادوارا شاهد منها العالم العربي اشباحَ العيث والفساد واضطراب النظام تسود اعز البقاع عليه واشرفها

ظلت الجزيرة على هذا المنوال السيء العقبى الى ان بدأت الاحوال في طور التجدد والانقلاب بحكم الاسباب فاخذت عقول الرعايا وعزائم الرعاة تتدرج رويداً من

حاضرة جزيرة العرب (جدة)